موقف مجلس النواب العراقي من مشروع ايزنهاور عام ١٩٥٧

ا.د. صبري فالح الحمدي
الجامعة المستنصرية/ كلية التربية

-المقدمة:

لجأت الولايات المتحدة الامريكية الى استثمار النتائج التي تمخضت عن العدوان الثلاثي[١] على مصر عام ١٩٥٦، والمتمثلة في حالة الغضب والاستياء التي عمدت البلدان العربية، وانحسار النفوذ البريطاني والفرنسي من المنطقة العربية، لتتقدم بخطوات جديدة وتسارع لاستثمار تلك الاوضاع لتحقيق اهدافها الاستراتيجية في فرض هيمنتها على دول المنطقة، باعلانها حماية دول الشرق الاوسط من الخطر الشيوعي، وتوافقا مع هذه التوجهات كان اعلان مشروع ايزنهاور[٢] الذي اعلنه الرئيس الامريكي في الخامس من كانون الثاني ١٩٥٧ امام مجلس الكونكرس، مؤكدا عزم بلاده على ملء الفراغ في الشرق الاوسط، الذي نجم عن انسحاب بريطانيا وفرنسا من المنطقة، ومطالبا الكونكرس تخويله صلاحيات تقديم مساعدات اقتصادية وعسكرية بمبلغ (٢٠٠) مليون دولار سنويا، وحق استخدام القوات الامريكية دون الرجوع الى موافقته بهدف توفير الامن والاستقرار في الشرق الاوسط.

جاء حصول هذه التطورات السياسية مع ما اعلنه عبد الوهاب مرجان[٣]- رئيس مجلس النواب- ان المادة الثانية من منهاج الجلسة الثامنة المنعقدة في ٢٣ شباط ١٩٥٧، تضمنت الاستمرار في المذاكرة على لائحة قانون الميزانية العامة لعام ١٩٥٧ المالية، واعقب ذلك إلقاء نوري السعيد[٤]- رئيس الوزراء- كلمة امام اعضاء مجلس النواب اوضح فيها سياسة حكومته في المجالين الداخلي والخارجي، وداعيا النواب للاطلاع على ما تضمنه مشروع ايزنهاور، الذي لقيَّ ترحيبا من الحكومة البريطانية، فيما عارضته[٥] مصر ودول عربية اخرى، التي كانت ترى ان الخطر الحقيقي الذي يهدد امن المنطقة هو الخطر

الصهيوني وليس الخطر الشيوعي، وفيما يأتي نص كلمة رئيس الوزراء في الجلسة المذكورة نوردها هنا بقدر صلتها بموضوع البحث:" سادتي ان البحث بمناسبة النقاش على الميزانية العامة يعطي فرصة لمناقشة صريحة واضحة عن سياسة الدولة سواء كانت داخلية ام خارجية...، فاذا ما سمح لي اعضاء المجلس العالي ان اتحدث في امور لها شأن خطير لا فقط في ميزان الدولة، بل لها مساس في كيان الشعب العراقي، ور بما في الشعب العربي بمجموعه، اننا بحاجة سواء كانت الحكومة ام اعضاء المجلس العالي او الشعب، نحن بحاجة للوقوف على تفاصيل مشروع ايزنهاور بعد مصادقة مجلس الشيوخ الامريكي الذي لم يصادق عليه بعد، وربما يصادق عليه بعد ايام، نحن بحاجة للوقوف على هذا المشروع"[٦].

وعند استعراض اعضاء مجلس النواب علاقات العراق الخارجية في الجلسة المذكورة، اعلن توفيق المختار[٧]- نائب بغداد- صراحة ان العرب يرحبون بالصداقة مع امريكا شريطة ان لا تلحق الضرر بمصالحهم الوطنية، بمناسبة النقاش على مشروع ايزنهاور، وابداء النواب الآراء حوله ومما قاله الآتي:" ان الشعب العربي صريح صريح لا يحمل ضغنا ولا حقدا، ولكن اذا وجد هذا الشعب المسالم ان صديقه يغدر به وحليفه ينكث عهده، فماذا يصنع حتى يبقى على حياته ويسلم على كيانه، ان الدولة في الولايات المتحدة ليست اعلى ثقافة ولا اعمق تفكيرا في السياسة الدولية من بريطانيا، والعالم قد شهد مصرع بريطانيا على صخرة الشرق الاوسط، بل على صخرة القومية العربية، فلأجل ان يكون مشروع ايزنهاور مقبولا عليه ان يعالج النزاع العربي- الاسرائيلي بحكمة وعدل، اما القوة فلت تتغلب مهما عظمت على الروح والفكر"[٨].

ادى خرق بريطانيا وهي احدى دول ميثاق بغداد[٩] عام ١٩٥٥ ، والمتمثل بمشاركتها في العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦، البنود التي تضمنها الميثاق والعراق موقع عليه وبريطانيا ايضا، الى ظهور دعوة اطلقها محمد مشحن الحردان[١٠]- نائب الدليم- لمعالجة تكرار وقوع مثل هذا الخطأ في مشروع ايزنهاور- الذي يعد شكلا متطورا ومكملا لميثاق بغداد- الذي اعلنته الولايات المتحدة، ورغبته بان يوطد العراق من صلاته مع الاخيرة، ولاسيما بعد تطور العلاقات الامريكية- السعودية، وجاءت آراءه في اثناء انعقاد الجلسة التاسعة في ٢٤ شباط ١٩٥٧، وهو يخاطب زملاءه من النواب ورجال الحكومة:" ان خرق

احدى دول الميثاق (بريطانيا) للمباديء التي ارتكز عليها الميثاق وهو صيانه الأمن والسلام في المنطقة، لا يوجب ان يكون الشركاء مسؤولين من تصرف احد المشتركين فيه، واني ارى من الواجب علاج هذه الحالة وفقا لمصالح الدول الاسلامية، خاصة بعد المشروع الذي تقدم به الرئيس ايزنهاور للمحافظة على استقلال دول هذه المنطقة، وحمايتها من الخطر الشيوعي، الذي كان الباعث الاساسي على تكوين هذا الميثاق، واعتقد ان التطور الآخر الذي جرى في الشرق الاوسط وتحول اكثرية دول المنطقة الى التعاون مع امريكا وهي زعيمة الدول الغربية، كما حدث للسعودية بعد زيارة جلالة الملك سعود[١١] لواشنطن وتوقيعه اتفاقية الظهران مجددا لمدة خمس سنوات، واعلانه بالبيان الصادر، بعد المحادثات عن تعاونه مع امريكا لحل مشاكل المنطقة بالطرق السلمية، هو تحول جوهري سيكون له أثر كبير على التطورات السياسية في هذا الجزء من العالم"[١٢].

على ان المتتبع لتطور مسار العلاقات الدولية بعد الحرب العالمية الثانية، وما افرزته من نتائج سياسية واقتصادية على الصعيد العربي والاقليمي والدولي عقب انتصار دول الحلفاء بقيادة الولايات المتحدة على دول المحور (المانيا، ايطاليا واليابان)، يعرف مدى قوة وتأثير الولايات المتحدة في ميدان الساحة الدولية، لاسيما بعد انحسار الدور البريطاني في المنطقة العربية، وهي الحقيقة التي سلط الضوء عليها عبد المحسن الدوري[١٣]– نائب بغداد– في الجلسة نفسها، وهو يعلق بذلك على مشروع ايزنهاور بقوله:" سادتي: ان الظروف قد غيرت مفهوم الجبهة الغربية في الشرق الاوسط، بأن جعلت امريكا هي القوة التي تكون هذه الجبهة، واذا لاحظنا انحدار بريطانيا ومهمة امريكا الجديدة في السياسة الدولية، وجب علينا تغيير الوضع تغييرا يضمن مصلحتنا الكبرى من الحرية والسياسة، ولو ان امريكا دخلت في الميثاق كطرف، او انها ستدخل فيه لأيدّنا الأبقاء عليه بشكل دائم، ولكن امريكا لا تميل الدخول في هذا الميثاق، ولا تثق بكفايته لمجابهة اي خطر شيوعي، ولذلك جاءت بمشروع ايزنهاور"[١٤].

وفي اثناء مناقشة نواب البرلمان الميزانية المالية للدولة لعام ١٩٥٨، فقد اعرب عبد المجيد محمد[١٥]– نائب المنتفك– بالجلسة الثانية عشرة المنعقدة في ٢٥ كانون الثاني ١٩٥٨، عن اعتقاده بعدم حصول العراق على مردودات ايجابية جراء تأييده مشروع ايزنهاور

في الجوانب الاقتصادية والسياسية ولا غيره من الاحلاف الاقليمية التي دعمتها او تزعمتها الولايات المتحدة بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، مقابل افادة الجانب الامريكي على منافع كثيرة، وننقل لكم ما ذكره في السطور الآتية:" ان نظرية املاء الفراغ التي سادت الشرق الاوسط، وعلى اثرها ظهر مشروع ايزنهاور وغيره من المواثيق...، يجب ان ننظر إليها بمنظار المصلحة الخاصة لبلدنا، واود ان اعلن باننا لم نستفد الاستفادة الكافية من مشروع ايزنهاور، ولا بالنسبة للواجبات التي قد يؤديها للعراق، منذ الحرب العالمية الثانية لم يستفد العراق لا من مشروع ايزنهاور ولا من مشروع مارشال كما استفادت بقية الدول"(١٦).

كرر نائب المنتفك موقفه في مطالبة الحكومة ان تعلن صراحة للشعب العراقي عما حققته من منافع مادية مقابل تأييدها مشروع ايزنهاور الامريكي، حصل ذلك بالجلسة الرابعة عشرة المنعقدة في ٢٩ كانون الثاني ١٩٥٨، التي تركزت مناقشاتها في بحث المبادئ والأسس التي تقوم عليها سياسة العراق الخارجية، واضاف قائلاً:" ...، وفي الاخير اود ان اتكلم حول مبدأ الرئيس ايزنهاور الذي قبله العراق، انني لا اريد ان ابحث هذا المبدأ، لأننا سبق وقبلناه، انه خصص (٢٠٠) مليون دولار في السنة للمساعدات التي تخص اسرائيل والشرق الاوسط وشمال افريقيا والسودان وتركيا وايران واليونان، انني اسأل كم من المبلغ خصص للعراق، فاني ارجو من الحكومات العراقية ان تبذل الجهود لتستفيد ما يمكنها الاستفادة من هذه المساعدات، والعراق بحاجة ماسة الى هذه المساعدات سيما وقد قبل بالمبدأ"(١٧).

يمكننا القول في ضوء استعراض ما تمخضت عنه مناقشات اعضاء مجلس النواب، التي عكست ما كان يتمناه العراقيون من تحقيق منافع اقتصادية او عسكرية او سياسية لبلادهم، مقابل موافقة العراق المعلنة عن مشروع ايزنهاور، ان الحكومة الامريكية نجحت في كسب تأييد الحكومة العراقية لهذا المشروع، الذي يمثل احد مظاهر تطور السياسة الامريكية في الشرق الاوسط بعد ازمة السويس عام ١٩٥٦ وتزايد نفوذها الدولي مع اعطاء الولايات المتحدة وعودا في منح العراق مساعدات اقتصادية، لكن ما تحقق على ارض الواقع كان ضئيلا قياسا عما صرح به المسؤولون الامريكيون، وما نقلته وسائل الاعلام، وهو الامر الذي تناوله اعضاء مجلس النواب في آراءهم التي وثقتها الدراسة موضوع البحث.

١- شن الصهاينة عدوانهم على مصر في ٢٩ تشرين الاول ١٩٥٦، وبعد يومين انضمت بريطانيا وفرنسا للعدوان، بسبب تأميم مصر قناة السويس، فيما كان الملك فيصل الثاني والوصي عبد الاله ونوري السعيد- رئيس الوزراء- يتفاوضون مع انطوني ايدن رئيس الوزراء البريطاني في لندن بشأن العلاقات العراقية- البريطانية.

- *Lord Bird Wood; Nuri As- Said, A study in Arab Leadership, London, 1959, P.290.*

٢- لمزيد من التفاصيل عن مشروع او مبدأ ايزنهاور *Eisenhower Doctrine*

ينظر: مذكرات ايزنهاور، ترجمة يونغمان هيوبورت، بيروت، ١٩٦٩، ص,٧٨

١- عبد الوهاب مرجان: انتخب رئيسا لمجلس النواب في الاول من كانون الاول ١٩٥٥ و ١٩٥٦، جدد انتخابه في الاول من كانون الاول ١٩٥٧، وفي ١٥ كانون الاول ١٩٥٧ تولى رئاسة الوزارة مع حقيبة الدفاع إلى ٢ آذار ١٩٥٨و ١٠ آيار ١٩٥٨، اعيد انتخابه رئيسا لمجلس النواب حتى قيام ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨. مير بصري، اعلام السياسة في العراق الحديث، جـ٢، دار الحكمة ، ط١، لندن، ٢٠٠٤، ص٢٣٤-٢٣٥.

٢- نوري السعيد(١٨٨٥-١٩٥٨): من مواليد بغداد، اكمل دراسته العسكرية في اسطنبول عام ١٩٠٦، رافق تأسيس حكومة فيصل الاول وتطورها في سنوات الانتداب، اصبح رئيسا للوزراء لاول مرة (٢٣ آذار ١٩٣٠- ٢٧ تشرين الاول ١٩٣٢). وبشأن وزارته اعلاه فكانت للمدة بين (١٩٥٥/١٢/٧- ١٩٥٧/٦/٨) وهي الوزارة الثالثة عشرة التي ألفها. سعاد رؤوف شير محمد، نوري السعيد ودوره في السياسة العراقية حتى عام ١٩٤٥، مكتبة اليقظة العربية، بغداد، ١٩٨٨، ص١٥ وما بعدها.

٣- لمزيد من التفاصيل ينظر: فكرت نامق عبد الفتاح، سياسة العراق الخارجية في المنطقة العربية ١٩٥٣-١٩٥٨. وزارة الثقافة والاعلام، بغداد، ١٩٨١، ص٣٩٤.

١- محاضر مجلس النواب، الدورة الانتخابية الخامسة عشرة، الاجتماع الاعتيادي الثالث لسنة ١٩٥٦، الجلسة (٨) في ٢٣ شباط ١٩٥٧، ص١٠٥-١٠٦.

٢- توفيق المختار(١٨٩٩-١٩٦٩): من مواليد بغداد، انتمى الى السلك العسكري، اصبح نائبا عن لواء بغداد في حزيران ١٩٥٠، جدد انتخابه في المجالس النيابية المتعاقبة. مير بصري، المصدر السابق، ص٤٦١.

٣- محاضر مجلس النواب، الدورة الانتخابية الخامسة عشرة، الاجتماع الاعتيادي الثالث لسنة ١٩٥٦، الجلسة (٨) في ٢٣ شباط ١٩٥٧، ص١٢٦.

١- ميثاق (حلف) بغداد ٢٤ شباط ١٩٥٥: سعت بريطانيا بعد الغاءها معاهدة عام ١٩٣٠ مع العراق الى ايجاد ميثاق بغداد، لانه البديل المفضل للحفاظ على مصالحها، وقد ضم : العراق، ايران، تركيا، باكستان، بريطانيا، واصبحت الولايات المتحدة الامريكية عضوا مراقبا فيه. جهاد مجيد محي الدين، حلف بغداد، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة عين شمس، ١٩٧٠، ص٢٣١.

٢- محمد مشحن الحردان، كان نائبا عن لواء الدليم، الدورة الانتخابية الخامسة عشرة، الاجتماع الاعتيادي الثالث (١ كانون الاول ١٩٥٦- حزيران ١٩٥٧). عبد الرزاق الحسني، تأريخ الوزارات العراقية ، جـ ١٠، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٤٨٨هـ/١٩٨٨م، ص٣١٢-٣١٣.

١- تضمنت الاتفاقية التي وقعها سعود بن عبد العزيز (١٩٥٣-١٩٦٤) العاهل السعودي مع الولايات المتحدة على تجديد عقد تأجير القاعدة الامريكية في الظهران لمدة (٥) سنوات، والتي كانت قد انتهت مدتها عام ١٩٥٦. فكرت نامق عبد الفتاح، المصدر السابق، ص٣٨٢.

٢- محاضر مجلس النواب، الدورة الانتخابية الخامسة عشرة، الاجتماع الاعتيادي الثالث لسنة ١٩٥٦، الجلسة (٩) في ٢٤ شباط ١٩٥٧، ص١٤٤.

٣- عبد المحسن الدوري: انتخب نائبا عن لواء بغداد، الدورة الانتخابية الخامسة عشرة، الاجتماع الاعتيادي الثالث(١ كانون الاول ١٩٥٦- حزيران ١٩٥٧). عبد الرزاق الحسني، المصدر السابق، ص٣١٢-٣١٣.

١- محاضر مجلس النواب، الدورة الانتخابية الخامسة عشرة، الاجتماع الاعتيادي الثالث لسنة ١٩٥٦، الجلسة (٩) في ٢٤ شباط ١٩٥٧، ص١٤٧.

٢- عبد المجيد محمود (١٩٠٩-١٩٩٢): من مواليد بغداد، درس في جامعة بيروت الامريكية، ثم حصل على شهادة البكالوريوس علوم من جامعة كاليفورنيا، بعدها اتمها في جامعة كورنيل في نيويورك، انتخب نائبا عن الناصرية، جدد انتخابه في ايلول ١٩٥٤ وايار ١٩٥٨. مذكرات عبد المجيد محمود الوزير في العهد الملكي العراقي، اعدها وعلق عليها وقدم لها عماد عبد السلام رؤوف ، دار الحكمة، ط١، لندن، ٢٠٠١.

٣- محاضر مجلس النواب، الدورة الانتخابية الخامسة عشرة، الاجتماع الاعتيادي الرابع لسنة ١٩٥٧، الجلسة (١٢) في ٢٥ كانون الثاني ١٩٥٨، ص١٩٧-١٩٨.

١- المصدر نفسه، الجلسة (١٤) في ٢٩ كانون الثاني ١٩٥٨، ص٢٢٤-٢٢٥.

المصادر

- الوثائق المنشورة:

- محاضر جلسات مجلس النواب، الدورة الانتخابية الخامسة عشرة، الاجتماع الاعتيادي الثالث لسنة ١٩٥٦.

- محاضر جلسات مجلس النواب، الدورة الانتخابية الخامسة عشرة، الاجتماع الاعتيادي الرابع لسنة ١٩٥٧.

- المذكرات الشخصية:

- مذكرات ايزنهاور، ترجمة يونغمان هيوبورت، بيروت، ١٩٦٩.

- عبد المجيد محمود الوزير في العهد الملكي العراقي، اعدها وعلق عليها وقدم لها عماد عبد السلام رؤوف ، دار الحكمة، ط١، لندن، ٢٠٠٧.

- الرسائل الجامعية:

- جهاد مجيد محي الدين، حلف بغداد، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة عين شمس، ١٩٧٠.

- الكتب العربية:

- سعاد رؤوف شير محمد، نوري السعيد ودوره في السياسة العراقية حتى عام ١٩٤٥، مكتبة اليقظة العربية، بغداد، ١٩٨٨.

- عبد الرزاق الحسني، تأريخ الوزارات العراقية ، جـ ١٠، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٤٨٨هـ/١٩٨٨م.

- فكرت نامق عبد الفتاح، سياسة العراق الخارجية في المنطقة العربية ١٩٥٣-١٩٥٨. وزارة الثقافة والاعلام، بغداد، ١٩٨١.

- مير بصري، اعلام السياسة في العراق الحديث، جـ٢، دار الحكمة ، ط١، لندن، ٢٠٠٤.

الكتب الاجنبية:

- Lord Bird Wood; Nuri As- Said, A study in Arab Leadership, London, 1959.